

البداية والنهاية

حاتم حدثنا عن حاتم قالت كل أمره كان عجباً أصابتنا سنة حصت كل شيء فاقشعرت لها الأرض واغبرت لها السماء وضنت المراضع على أولادها وراحت الإبل حدباء حدابير ما تبص بقطرة وحلقت المال وأنا لفي ليلة صنبر بعيدة ما بين الطرفين إذ تضاغى الأصبية من الجوع عبداً وعدي وسفانة فواء إن وجدنا شيئاً نعللهم به فقام إلى أحد الصبيان فحملة وقمت إلى الصبية فعللتها فواء إن سكتا إلا بعد هدأة من الليل ثم عدنا إلى الصبي الآخر فعللناه حتى سكت وما كاد ثم افترشنا قطيفة لنا شامية ذات خمل فاضجعنا الصبيان عليها ونمت أنا وهو في حجرة والصبيان بيننا ثم أقبل علي يعللني لأنام وعرفت ما يريد فتناومت فقال مالك أنمت فسكت فقال ما أراها إلا قد نامت وما بي نوم فلما أدلهم الليل وتهورت النجوم وهدأت الأصوات وسكنت الرجل إذ جانب البيت قد رفع فقال من هذا فولى حتى قلت إذا قد أسحرنا أو كدنا عاد فقال من هذا قالت جارتك فلانة يا أبا عدي ما وجدت على أحد معولا غيرك أتيتك من عند أصبية يتعاونون عواء الذئاب من الجوع قال أعجليهم علي قالت النوار فوثبت فقلت ماذا صنعت أضطجع واء لقد تضاغى أصبيتك فما وجدت ما تعللهم فكيف بهذه وبولدها فقال اسكتي فواء لأشبعنك إن شاء الله قالت فأقبلت تحمل اثنتين وتمشي جنبتيها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام إلى فرسه فوجاً بحربته في لبتة ثم قدح زنده وأورى ناره ثم جاء بمدية فكشط عن جلده ثم دفع المدية إلى المرأة ثم قال دونك ثم قال ابعتي صبيانك فبعثتهم ثم قال سوءة أتأكلون شيئاً دون أهل الصرم فجعل يطوف فيهم حتى هبوا وأقبلوا عليه والتفع في ثوبه ثم اضطجع ناحية ينظر إلينا واء ما ذاق مزعة وإنه لأحوجهم إليه فأصبحنا وما على الأرض منه إلا عظم وحافر .

وقال الدارقطني حدثني القاضي أبو عبداً المحاملي حدثنا عبداً بن أبي سعد وحدثنا عثيم بن ثوابة بن حاتم الطائي عن أبيه عن جده قال قالت امرأة حاتم لحاتم يا أبا سفانة اشتهي أن آكل أنا وأنت طعاماً وحدثنا ليس عليه أحد فأمرها فحولت خيمتها من الجماعة على فرسخ وأمر بالطعام فهيء وهي مرخاة ستورها عليه وعليها فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال ... فلا تطبخي قدرتي وسترك دونها ... علي اذن ما تطبخين حرام ... ولكن بهذاك اليفاع فأوقدي ... بجزل إذا أوقدت لا بضرام

قال ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعى الناس فأكل وأكلوا فقالت ما أتممت لي ما قلت فأجابها فأتى لا تطاوعني نفسي ونفسي أكرم علي من أن يثنى علي هذا وقد سبق لي السخاء ثم أنشأ يقول ... أمارس نفسي البخل حتى أعزها ... وأترك نفس الجود ما أستثيرها ... ولا

تشتکيني جارتې غير آنها ... إذا غاب عنها بعلا لا أزورها ... سبيلغا خيري ويرجع بعلا
... إليها ولم تقصر عليها ستورها